

كلام وزير . . .

وحسبى أن أذكر لك أنه يوجد بمكتب الشباب المتعلمين ؛ الذى يتبع
وزاوى ؛ عشرة آلاف وثلاثة طلب ؛ لشباب صرفوا العمر والمال
فى الحصول على الدرجات ؛ فلما ظفروا به لم يجدوا ميدانا يستخدمون
فيه معارفهم وشبابهم .

أضف الى ذلك أن هناك مثل هذا العدد أو يزيد فى الجامعة المصرية
وفى الجامعة الأزهرية . وما هى الحكومة قد أنشأت جامعة أخرى .
وهناك أيضا الجامعة الأمريكية ؛ وأولئك الشباب الذين هاجروا فى سبيل
العلم الى أوروبا وأمريكا ثم عادوا الى وطنهم ممثلين أملا فلم يصادفوا إلا
فشلا وغبية وبطاللة .

إن مجرد تصور تضخم هذا العدد بعد سنين طويلة يكفى لقطع بأن واجب
كل حكومة وشيخة تتم بالعلم هذا الاهتمام أن تفكر فى مصير خريجى
الجامعات التى تنشأ وتتم بالاتفاق عليها .

ولو أن الحالة ظلت على ما هى عليه ، لكان غير مستبعد أن تتطور
الأموال الى اختلال اجتماعى ليس فى مصلحة أحد . لا الأمة ولا الشركات
ولا أرباب الأعمال ولا أصحاب رؤوس الأموال . فالقانون إذا هو
خطوة حتمية يجب أن يخطوها كل حافل مسئول .

” من تصريحا لوزير الشؤون الاجتماعية
فى مناسبة وطنية كبرى“

عجيب أن يطرب الناس لسماع حديث صادق صريح ، يصدر عن رجل مسئول من
ذوى السلطان ، وهو فى مقعد الحاكم . وعجيب أن يسبح الناس بمحمد رجل مسئول من
ذوى السلطان وأن يهالوا له ويكبروا باسمه ، حين يشرع تشرىما نافعا لأمتة ، وهو فى مقعد
الحاكم .

فما وظيفة الحاكم إن لم تكن وظيفة تشريع النافع لأمتة وتنفيذ ما يشرع ، وما سمات
الحاكم إن لم يكن من سماته الصدق والصرامة ، وهو صاحب الحول والسلطان ؟ .

ولكنا فى مصر . . . نظرب لصدق الحاكم وتحميم لصراحته ، ونسبح بمحمد رجل
مسئول من ذوى السلطان ونهلل له ونكبر باسمه ، حين يشرع تشرىما نافعا لأمتة المصرية

وهو في مقعد الحاكم . ولنا عذرنا فيما نفعل ، ورجائنا — خارج مناصب الحكم — دعاء إصلاح ، بل دعاء ثورة . . . وهم في مقاعد السلطان بدعاة قناعة ، وخصوص ما كان لهم من فكرة .

لهذا ومثله قابلت — كما قابل المخلصون لهذا البلد — ذلك التصريح الخطير ، الذي أدلى به معالي وزير الشؤون الاجتماعية — في مناسبة وطنية كبرى هي العمل لإصدار تشريع يحفظ للغة العربية الرسمية كرامتها ، ويرد إليها حقها المسلوب — قابلت كما قابل الناس هذا التصريح بكثير من الفبطة ، وكثير من الانشراح ، وكثيرين من الغاؤل ، وكثير من الأمل في أن العقيلة الرسمية في مصر بدأت تظهر عمليا بين العقلات الرسمية في العالم ، بالصورة التي يلزم أن تكون عليها ، صورة الوطنية المصرية التي لا تعترف بحق يمس حقوق المصريين ولا تخفض الهام لسيادة تذل كبرياء هذا الوطن .

لكنني — وأنا أتلوف بشر تصريح معالي الوزير — صدمت بغاة فقرات منه كانت لا بد من أن تصدمني ، لا لأنني لم أكن أعرف حقيقتها قبل تلاوتها ، ولا لأنني لم أكن أشعر بقيمتها وأمس خطورتها قبل تصريح معالي الوزير بها ، ولكن لأنني كنت أريد أن أسمعها من زمن ، وأن أسمعها في مناسبة وطنية كبرى كذلك ، وأن أسمعها من رجل مسئول في مقعد الحاكم !

قرأت إذن بعناية تلك الفقرات التي صرح بها معالي الوزير بين ما صرح به ، والتي صدرت بها هذه الكلمة لعلها تظل ماثلة أمام أعين من يهمهم أمر الانسجام الاجتماعي في هذا البلد .

قرأت فيها أنه يوجد بمكتب الشبان المتعطلين ، الذي يتبع وزارة الشؤون الاجتماعية عشرة آلاف وثلاثمائة طلب ، لشباب صرفوا العمر والمسأل في الحصول على الدرجات العلمية ، فلما ظفروا بها لم يجدوا ميدانا يستخدمون فيه معارفهم وشبابهم .

وقرأت أن مثل هذا العدد أو يزيد عنه يتلقى العاوم في جامعة فؤاد الأول والجامعة الأزهرية ، وأن الحكومة قد أنشأت جامعة جديدة ، وأن الجامعة الأمريكية تضم طلابا وتخرج كل عام متعلمين .

وقرأت عن أولئك الشباب الذين هاجروا مصر طلابا للعلم في جامعات ومعاهد أوروبا وأمريكا ، ثم عادوا إلى وطنهم ممثلين أملا ، أنهم لم يصادفوا غير خيبة وبطالة . . .

لدينا اليوم إذن عشرات الألوف من المتعلمين العاملين المتذمرين من الأوضاع الخاصة بتوزيع الأنصب الاجتماعية بين الناس . ولدينا كذلك عشرات الألوف من المتعلمين المتعطلين النافين على الأوضاع والأنظمة التي تحكم عليهم بالحرمان . وستكون لدينا بعد سنوات

عشرات من الألواف جديدة ثم عشرات على مر السنين والأعوام. تضم هذه الألواف الجديدة الى المتدمرين الناقين ... وتضاف اليها بعد أن تكون عقلياتها الجديدة وتجاربها الجديدة قد طمتمها أن للانسان حق الحياة الكريمة ، وأن الدولة مسئولة أمامه عن هذا الحق ، ما دام هو مسئولا أمامها عن رماية النظم ، وما دام هو مسئولا للعمل .

ولدينا اليوم كثيرون ، وسيكون لدينا غدا أكثر ، من الذين تلقوا العلم في معاهد وجامعات اوروبا وأمريكا ، وقال عنهم معالي الوزير في تصريحه انهم يعودون إلى وطنهم وكلهم أمل فلا يصادفون غير الخيبة والبطالة .

هؤلاء يجب ألا نعددهم متعلمين خسب ، ولكننا يجب أن ننتبه الى أنهم تلقوا العلم في معاهد دول لها نظمها وأساليبها وصراحتها . . . وأن عقلياتهم قد تأثرت كثيرا بهذه النظم والأساليب والصراحة . . . وأنهم يمكن أن يكونوا مالملا ذا شأن كبير وخطورة فائقة في صفوف جيش المتدمرين الناقين .

فالشباب المصرى المتعطل بعد اليوم بعشرات الآلاف، تضاف اليها بعد أعوام عشرات أخرى ، وتزيد هذه العشرات على مر السنين ، وما زالت نطمنا كما هي ، ووسائلنا هي هي ، وحالتنا لا تتغير ولا تتبدل ، والعدل الاجتماعى بيننا يحث عنه المحرومون . . . ونحن دولة ديموقراطية يقضى دستورها بالمساواة بين أبنائها أجمعين .

إن هذه الفقرات لتثير في ذهنى فكرة لا بد أن يكون أصحابها من محتكى الجاه والسلطان . ومن دماء الفناعة والرصا بما هو كائن . فكرة علاج مشكلة المتعلمين المتعطلين بأن توصل أبواب العلم فى وجوه الراغبين فيه .

لكن من حق كل قادر على العلم أن يتعلم . ويحصر بعض الناس هذه القدرة فى المقدره المادية ، ولكى أعنى بها القدرة الذهنية والاستعداد العقلى ، ولا أريد بها المقدره المادية بحال من الأحوال .

إن الذى ولد فقيرا ليس فرضا عليه أن يظل كذلك . لا تحداثونى بإرادة السموات وحكم الإله . فان لسماء إرادتها النافذة ، ولكن علينا نحن أن ننظم شؤوننا بقدر ما وهبتنا السماء من عقول . إننا نشرع نظما وضعية ولا نؤلف قرآنا أو إنجيلا أو تورا . . . إننا نعمل جهدهن لضمان السلام فى الشعوب ، وإننا نوزع العدل فى الدنيا . . . وليس علينا أولنا أن نعمل ميزانه فى الآخرة . . .

وإن كانت الفناعة وكان الرصا - فى بعض الأحيان - خيرا ، فانها وبه نشر كبير فى كثير من الأحيان . . . ولعنهما لا يكون شر ، فى وقت من الأوقات تقدر ما هما عندما . . .

فعلينا إذن أن نعهد للناس سبل عيشهم ، وإن من هذه السبل أن يصعدوا درجات في الثقافة والتعليم . فمن حقهم أن يطلبوا العلم ، ومن حقهم أن يحصلوا عليه بقدر ما تستطيع أذهانهم أن تحصل ، وبقدر ما تكون لهم رغبة فيه ، وأن يختار لهم من ألوان هذا التعليم ما يتفق واستعدادهم الشخصي .

ولكن حرمان بعض الناس من حق العلم لم يكن — ولن يكون في يوم من الأيام — سيلا سليا عادلا لعلاج تعطل المتعلمين . .

فمن واجب الحاكم إذا ألابحرم إنسانا من مثل هذا الحق ، ومن واجبه أن يمين كل مهتم راغب في العمل عليه ، فيمهده له سبلا ويجعله في المكان الذي تؤوله له ثقافته وكفاءته وبشريته .

وإن الحاكم الذي يحرم بعضا من الناس مثل هذا الحق المفروض طبيعة وقانونا ، بحجة علاج تعطل المتعلمين ، هو حاكم عاجز عن أن يسير بالناس في الطريق الصحيح السليم ، فالأولى به أن يترك منصب الحكم لمن يستطيع أن يسير بالأمة في الطريق القويم .

لا أستطيع أن أفهم كيف تحكم الدولة على الجهال بالموت الأدبي والمادى معا ، وهي التي تسد في وجوههم أبواب العلم ، وقد عدت الدولة هذه الأبواب وحدها سبل العيش الكريم ! .

إن العمل سبيل الخير . يستحق الحياة من يعمل وليس جدرا بها غير العاملين . لكن الإنسان ليس مسئولا عن أكثر من أن يعد نفسه للعمل وأن يقدم نفسه له . فإذا قصر كان للدولة وعليها أن تأخذه بتقصيره ، وإذا لم يقصر كان له على الدولة المنظمة العادلة أن تمهد له سبيل هذا الإعداد بالعلم وأن توجد له عملا مناسبا . ولا أقل أخيرا من أن توفر له الخير الشريف بالطريق الشريف .

إن مصر اليوم غيرها منذ عشرات السنين ، أو منذ عشر سنين ، لا من حيث نظمها وتوزيع العدل الاجتماعى بها ، ولكن من حيث العقلية الشعبية وتفكير الجماهير . ويخطئ من يظن أن الجماعات البشرية يمكن أن تظل راكدة خامدة تغمرها روح الفتاعة وتسودها السيطرة للجنوع .

لابد إذن من أن تطلق حرية التعليم لكل راغب فيه مهيا له ، ولا بد إذا من أن يكون علاج تعطل المتعلمين شيئا غير قيود التعليم . فماذا يمكن أن يكون هذا الشيء المفقود . . . الموجود ؟

إنه يمكن أن يكون في أعمال الشركات والمصارف التي تحتل هذا البلد اقتصاديا ، وتحتل على أبنائه بما يلزم أن يكون لهم فيه من حقوق .

وإنه يمكن أن يكون في خزائن المصريين التي تزدهم فيها الملايين ، ويحبس فيها الذهب إلا عن العيب المحزون . . . يمكن أن يكون في إطلاق هذه الملايين من أمرها لتعمل وتنتج ، وفي عملها عمل للتعتلين ، وفي إنتاجها خير لهم وللناس أجمعين .

وإنه يمكن أن يكون في خزائن هؤلاء ، وفي الضرائب المتدرجة تدرجا يتناسب وقيمة هذه الملايين ، والاتفاق من متحصل هذه الضرائب في شتى ضروب الإصلاح الاجتماعي وهذه كلها سبل مشروعة ومعمول بها في جميع الأقطار .

ويكون أيضا كذلك في توزيع الثروات البكر على الراغبين في استغلالها من المتعلمين وعلى الذين هم منها محرومون ، ومن في حكمهم من أصحاب الثروات الصغيرة .

هذا ومثله يمكن أن يكون هو السبيل لحل مشكلة تعطل المتعلمين وإنصاف المظلومين . ولو أن الحان ظلت على ما هي عليه ، فسيكون غير مستبعد أن تتطور الأمور الى اختلال اجتماعي ليس في مصلحة أحد — كما يقول معالي الوزير — لا في مصلحة الأمة ولا الشركات ولا أرباب الأعمال ولا أصحاب رموس الأموال .

وهذا ومثله سبيل لإنقاذ الوطن من الأزمة التي تسير اليها ، والتي لا منقذ منها غير الحكم العادل الصريح الجريء .

وهذا ومثله هو الوجهة التي يلزم أن يتجه اليها كل عامل ومسئول ... ولا جدوى من حلول تؤخر من ميعاد الواقعة ولا تمنعها ...



التعليم حق لكل راغب فيه ، بل هو واجب على كل انسان ، يلزم الدولة أن تدفعه اليه لخير المجموع ... والعمل حق لكل راغب فيه ، بل هو واجب على كل انسان يلزم الدولة أن تدفعه اليه لخير المجموع ...

فن واجب الدولة إذن أن تحطم قيود العلم ، وأن تمهد سبيل العمل أمام الناس أجمعين ... وأن تعطى كلا بقدر علمه وعمله : بميزان عادل ، وضابط سليم .

عماد الدين عبد الحميد